

Artical History

Received/ Geliş
13.6.2018

Accepted/ Kabul
17.7.2018

Available Online/yayınlanma
1.10.2018

تشظي الهوية في الرواية النسوية العراقية

رواية (طشاري) انموذجاً

ا.م.د. تغريد عبد الخالق هادي

كلية التربية / ابن رشد

جامعة بغداد / العراق

الملخص :

ان المنجز الروائي للكاتبة يطرح اشكاليات المجتمع العراقي، في محاولة لإيجاد صيغ وحلول لمعالجة هذه الثيمة من خلال العمل الادبي ، فحاولنا في بحثنا هذا الوقوف على تشظي الهوية لدى العائلة العراقية المسيحية المهاجرة الى مختلف بقاع الارض ، من خلال الوقوف عند عناصر البناء الفني للحبكة الفنية في الرواية المتمثلة بالشخصية والزمان والمكان ، وعرض طريقة الكاتبة في رسم هذه العناصر وجمعها في بوتقة واحدة ، فضلا عن التوقف عند العوامل النفسية والاجتماعية والسياسية التي عصفت بشخصيات هذا العمل ، وصولا الى الخاتمة .

Abstract:

The writer's presents the problems of the Iraqi society in an attempt to find formulas and solutions to deal with this theme through literary work. In this research, we tried to identify the fragmentation of identity of the Iraqi Christian immigrant family to various parts of the earth by standing at the elements of artistic construction of the artistic plot in the novel presented by characters, time and place, and the presentation of the writer's way to draw these elements and collect in a single crucifix, as well

as stop at the psychological, social and political factors that plagued the personalities of this work, till reaching to the end of novel.

توطئة:

(بدون الامهات تفقد الاوطان ملحها...) ، بهذه العبارة الشعرية للكاتبة (انعام كجه جي) نفتتح دراسة منجزها الروائي (طشاري) الصادرة من دار الجديد ، بيروت 2003 م.

• انعام كجه جي :

- روائية واعلامية وكاتبة عراقية ، تقيم في فرنسا منذ عقود تمارس الصحافة والترجمة.
- درست الصحافة والاعلام في العراق وعملت في وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، قبل ان تنتقل الى فرنسا عام 1979م لنيل درجة الدكتوراه من باريس ولا تزال تعيش هناك حتى الان .
- تعمل كمراسلة صحفية لجريدتين ناطقتين باللغة العربية
- في عام 2004 قامت بعمل وثائقي عن نزيهة الدليمي ، اول امرأة تستلم منصب وزارة في العالم العربي ، كما نُشر لها العديد من الاعمال الادبية .

• مؤلفاتها:

- Lorna, her years with Jawad Salim

لورنا ، سنواتها مع جواد سليم (سيرة روائية) 1998 م.

- Paroles d'Irakienness

كلمات عراقية 2003م

- سواقي القلوب 2005 م المؤسسة العربية بيروت ، عمان ، مترجمة الى الايطالية

- طشاري 2003

- الحفيدة الامريكية 2008

الروايتان ترشحتا لجائزة البوكر العربية (القائمة الصغيرة).

مفهوم الهوية والانتماء :

تتمتع رواية (طشاري) بمكانة مرموقة ومتميزة في الادب العراقي النسوي بوصفها الرواية الثالثة للكاتبة (انعام كجه جي) ، ولقد صدرت عن دار الجديد في لبنان عام 2003 ، وترجمت الى الفرنسية عن دار (غاليجار) بعنوان المشتتون (Les dispeses) ، ولقد حصلت الرواية على منحة الصندوق العربي للثقافة والفنون (افاق) ودخلت في القائمة القصيرة النهائية للجائزة العالمية للرواية العربية (جائزة البوكر العربية) لعام 2014 .

ان مصطلح الهوية والانتماء ، يعني العلاقة ما بين الفرد ومجتمعه ، بغض النظر عن كونها علاقة تجاذب ام تنافر ، ضمن صيغ اجتماعية او سياسية او دينية او فكرية او عندما يجد الفرد نفسه مرتبطاً بعلاقة غريبة وهروب وخوف وتهديد فينتج عن ذلك تشظي لهذا الوطن وعدم الانتماء له ، وهنا يبدأ البحث عن اوطان بديلة ينشد فيها السلام والكرامة والعيش الهانئ ، وهو دأب الفرد في البلدان العربية في العقود الاخيرة ، الذي يسعى الى الهجرة نحو الآخر (الغرب) ، ومحاولة تأسيس حياة مستقرة بعيدا عن هذه النزعات السلبية في المجتمع العربي .

ان ثيمة الرواية المحورية هي تشظي الهوية وفقدان الشعور بالانتماء للنازحين والمهجرين العراقيين عقب احداث 2003م والاحتلال الامريكى للعراق وما اعقبه من احداث سياسية واجتماعية عصفت بالمجتمع العراقي بكل طوائفه و قومياته المتنوعة والمتآخية عبر العصور ، فالرواية تحكي الشتات المجتمعي العراقي ، ولا سيما للطائفة المسيحية التي تفرقت في بلدان العالم كافة .

عتبة العنوان :

من اللافت للنظر هو اختيار الكاتبة لعنوان موغل في الخصوصية الوطنية والمحلية العراقية وباللهجة العامية ، وهو مفردة (طشاري) ذات الحمولة السيمائية الدالة على الافتراق والضياع والتشتت في جميع بقاع الارض ، وتؤكد الكاتبة على هذا المعنى في الحوار المباشر :

(- طشاري .

- يعني ؟

- بالعربي الفصيح تفرقوا ايدي سبأ .

- يعني ؟
- تطشروا مثل طليقة البندقية التي تنوزع في كل الاتجاهات .
- ماما هل تكتبين اشعاراً عن الاسلحة والرصاص ؟
- انهم اهلي الذين تفرقوا في بلاد العالم مثل الطلق الطشاري .¹

فالطشار هو مفردة عراقية تدل على مالا يمكن جمعه ، وهي هنا ترمز بالعنوان الى حال المسيحيين اللاجئين في بلاد المنفى الاختياري ، بعيدا عن اوطانهم ، بعد ان فقدوا الامان والطمأنينة ، فهاجروا بحثاً عن اوطانٍ بديلة . ولقد تناولت روايات عربية عدة علاقة الشرق بالغرب مثل رواية (موسم الهجرة الى الشمال) للطيب صالح ورواية (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم وغيرها الكثير ، لكن ابطلها كانوا شباباً يبحثون عن السعادة والحياة المختلفة ، الا ان بطلة رواية (طشاري) تختلف علاقتها مع الغرب ، فهي مرغمة على الهجرة الى الآخر وتمتد جذورها في وطنها الام عميقاً ترنو الى يوم العودة وتحلم بمكان يضم شتاها مع عائلتها المتفرقة ، حتى وان كان هذا اللقاء حلماً او افتراضاً بعد ان عرفت صعوبة تحقيقه على ارض الواقع بعد فناء العمر واقترب الموت .

تشظي الهوية والشخصية :

تبني (كجه جي) روايتها على شخصية محورية ورئيسية هي شخصية الدكتورة (وردية اسكندر) الطبيبة النسائية العراقية المغتربة في باريس بعد ان عصفت رياح التغيير والطائفية بعائلتها على اثر الاحداث السياسية والاجتماعية التي مرَّ بها العراق في العام 2003 م ، بحيث اصبح وجودها مهدداً لحياتها في وطنها الام ، وان بلغت الثمانون من العمر، وتسرد هذه الطبيبة المسيحية العراقية قصة حياتها عبر سيرتها الذاتية في ارتجاع غير منتظمة للزمن والاحداث عبر مسيرة حياتها الطويلة .

لقد اختارت الكاتبة نمط السرد الموضوعي لرواية احداث قصتها مع تعدد الرواة والشخصيات لتحكي (قصة وطن) تشظي ابناءه بعد ان لفظهم خارجاً مرغمين حين عصفت به رياح الفرقة والتحزب ، الا ان هذا الوطن يبقى حاضراً في ذاكرة ابناءه لأنه حكاية عمر لا ينسى، فهو الام والمهد والاول في اللقاء. وتنتمي هذه الرواية الى نمط الرواية الواقعية لسهولة اسلوبها البسيط غير المتكلف ، وهو ما عُرف عن الكاتبة على الرغم من وجود لغة شعرية عالية في بعض فقرات روايتها ، الا ان هذه اللغة البسيطة هي لغة موحية ومعبرة تناسب الهدف من الرواية ، فمهنة البطلة هي (

¹ (طشاري ، انعام كجه جي ، دار الجديد ، لبنان ، ط2 2014 : 90 .

طبيبة نسائية وتوليد) ولعل هذه المهنة لها دلالاتها الرمزية والايحائية داخل الرواية لما تحمله من مغزى انساني نبيل ، فهي شخصية مُجبة للحياة ، تساعد النساء على منح الحياة دماء جديدة بخروج الاجنة اليها:

(بأناملها المطواع المدرية التي كانت تجوب المغارات السرية للنساء فتفتك وتربط وتكشط وتنظف وتكوي وتداوي وتهجس بالبشارة ، تلمس المواضيع الخفية وتروز تكورات الاجنة وتقدر اشهر الحمل ، ثم تتسلل الى الارحام فتسحب المواليد الى حياة كُتبت في سجل مجهول - تططب على ظهورهم الحمراء المجعدة وتسمع صرخاتهم الاولى وتقطع الحبال ، وتعقد السرر...)¹.

ان وظيفة الشخصية ذات دلالات انسانية كبيرة فهي تبث الخير في المجتمع ، وهي شخصية معطاء احبها جميع من عرفها في العمل ، حتى انها خدمت في المحافظات العراقية (الديوانية) وفي المناطق النائية منها تحديداً، خدمة للفقراء ، لذا يمكن القول انها شخصية متجذرة في ربوع هذا الوطن حتى بلغت الثمانون من العمر ، لتضطرها الظروف الى التخلي عن هذا الوطن وتنسلخ من جذورها لتهاجر الى بلاد اخرى بحثاً عن الملاذ الآمن ، وتشير الشخصية الى دلالات الوطن النفسية داخلها بعدد كبير من المواضع في الرواية ، فالمنفى ليس حلاً فهو هروب فقط :

(لم يكذب الشعراء الملاحين الغاؤون ، اصدقاء اخيها سليمان وندماؤه ، حين زعموا ان هناك مساقط للرؤوس واخرى للافئدة . وهي ستؤرخ لهذا المكان مسقطاً لقلبها وسماء لطيفة حنت عليها ومنحتها الكثير من القليل الذي تملك)².

الا ان موطن القلوب والافئدة (العراق) تعرض لأبشع موجات القهر والتفتت فبدأ بلفظ ابنائه الى الخارج هرباً من شبح الموت المسيطر على هذه البقعة من المكان .

الشتات العراقي :

تصف البطلة وطنها على انه الامل والحياة وتستذكر ايامها وحياتها وشبابها وابنائها الذين ترعرعوا في ربوعه ، الا ان غصة الالم على هذا الوطن الجريح تلازم البطلة (وردية) فتصف هذا الوطن بشيء من العجائبية الممتزجة بالأسطورة ، في تشبيهه بليغ لحال المجتمع العراقي :

¹ (طشاري : 19 .

² (طشاري : 31

(ساحرة شريرة ، تمسك بعضا البدد السحرية ، ترفعها عالياً في الهواء ثم تضرب بها بقعة من الارض كانت خصبة ، آمنة من الزلازل ، محروسة بين نهريين ، مأهولة بمليون نخلة ، طافحة بذهب اسود ، جاثمة على فوهة خليج مُلتبس بين عرب و فرس ... تضرب الساحرة طاردة اهل تلك البلاد الى اربعة اطراف الدنيا)¹ .

ان هذه الساحرة هي رمز لما تعرض له الوكن من تشظي على يد الغزو الاجنبي في عام 2003م. فوصف العراق (بلاد النهريين) وخصبه وثرواته ونمائه جعلت هذه الساحرة-الاسطورة- ترمي بأبنائه خارج اسواره لتشتتهم في كل بقاع الدنيا ، وتستكمل البطلة وصفها للوطن :

(تريد ان تنتقم لأنها دميمة وشريرة وهم اهل اريحية وسماحة ، قُدوا من تمر واشعار وابو ذيات ، لأنها ورق واصباغ ورسوم تتحرك وهم صخر جلمود ، تقهقه وترسل خير اليبايد ليحلق فوق رؤوسهم ، من يعرف طير اليبايد المنفلت من كتب الاساطير ذاك الذي يحوم فوق اسطح البيوت الآمنة فيبعثر الاحبة ويفرقهم في البلاد)².

ان التوصيف الشعري العجائبي لهذا الوطن (العراق) ينم عن حب وانتماء لهذه البقعة المحملة بذكريات الطفولة والشباب والعمل والعائلة والاصدقاء ، فيتخطى الوطن مدلوله المكاني من رقعة جغرافية تكون (مسقطاً للرؤوس) ، ويتحول لدى (وردية) الى (مسقطاً للأفئدة) فيتخطى الوطن المدلول المادي المحسوس الى قيمة معنوية عالية تحتل مساحة كبيرة في نفس ووجدان الشخصية حتى يصبح هو الوجود والامل.

ولعل خوف البطلة (وردية) من فقدان الهوية والانتماء لهذا الوطن الجريح يفسر خوفها وحرصها على جواز سفرها العراقي ، فهي لا تنظر اليه على انه جواز سفر اعتيادي ، فهو يمثل لها كينونة الانتماء لهذا الوطن والواسطة التي ستحقق الامل في العودة الى هذا الوطن :

(افقد بصري ولا افقده ، هذا الجواز الذي كان هويتي الوحيدة في هذا البلد ودليل وجودي ، اخاف عليه حين انقله في حقيبة يدي واخاف عليه حين اتركه في البيت ، لا انسى حالة الفزع التي اصابتني ، حينما كنت في دورة دراسية في كارديف و اردت مع زميلات من الهند وكينيا واليونان ان نزرور بروكسل ، كان علينا ان نرسل

¹ (طشاري : 17-18 .

² (طشاري : 18

الجوازات بالبريد الى السفارة البلجيكية في لندن لطلب التأشيرات ثم تعاد اليها، ايضاً بالبريد ، وهو ما فعلته رفيقاتي بدون تردد ، انهن مواطنات دول طبيعية ولا يفقهن "فوبيا الباسورت" ¹.

ان متعلقات الشيء تنبأ به ، فالجواز هنا يرمز الى الوطن والخوف من ضياعه هو خوف الشخصية من عدم العودة لهذا الوطن ، وفقدان الاهل والاقارب والاحبة في هذه البقعة من العالم ، الا ان القدر باغت (وردية) ليرمي بها، بعد سن الثمانين عاماً ، كلاجئة في فرنسا وهي عجوز وحيدة بلا وطن ولا عائلة ولا انتماء .

نستنتج مما سبق ان بناء الرواية السردي عبر شخصية (وردية) قد حقق الفكرة المراد ايصالها للقارئ ف (وردية) لا يمكن وصفها بانها شخصية نامية ، بل شخصية معروف ما ستقوم به ، لان احداث الرواية تبدأ من الان ، أي من مضارع الشخصية (الغربية او المنفى) ، ثم تشرع الشخصية باستذكار طفولتها وشبابها وعائلتها وذكرياتهم في الوطن المفقود (العراق) ، لذا يمكن القول انها تنتمي الى فئة (الشخصيات المسطحة) او المحورية .

الهوية والمكان :

يشغل المكان حيزاً كبيراً من حيوات الشخصيات في الرواية بوصفه يمثل الوطن ، والماضي والحاضر والمستقبل المفقود ، فإن بناء عنصر المكان في الرواية متميز جداً لأنه يمر بأماكن الطفولة حتى الكهولة ، بتنوعها وتعددتها ، فتصور الرواية الاماكن ضمن حقبة زمنية هي حقبة الخمسينيات (1955م) ، وما يحمل هذا الفضاء الجغرافي من حمولات ثقافية واجتماعية وسياسية في تاريخ الفرد والمجتمع ، فأن جوليا كرسنيفا لما تحدثت عن الفضاء الجغرافي لم تجعله - ابدأ- منفصلاً عن دلالاته الحضارية ، فهو إذ يتشكل من خلال العالم القصصي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له ، والتي تكون مرتبطة بعصر من العصور ، حيث تسود ثقافة معينة او رؤية خاصة للعالم ، وهو ما تسميه "اديبولوجيم" العصر (Idoiologime) والاديبولوجيم هو الطابع الثقافي العام والغالب في عصر من العصور ولذلك ينبغي للفضاء الروائي ان يُدرس دائماً في تناصيته ، أي علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما او حقبة تاريخية محددة².

¹ (طشاري :66.

² (182 : -1976 J. Kristeva : Le texte du roman Mouton

نقلا عن / بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ، د. حميد لحميداني ، المركز الثقافي الغربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3 ، 2000 : 53 .

ان بنية المكان في الرواية حاضرة وبقصيدة عالية ضمن الاطار الزمني لأحداث الرواية ، (فر ودرية اسكندر) ولدت في الموصل التي تمتاز بديموغرافية معروفة حيث تتكون من خليط من قوميات عدة مثل (العرب ، الكورد ، التركمان ، الطائفة المسيحية) اضافة الى تنوع طوائفها ، درست الطب في (بغداد) العاصمة التي تمتاز ايضاً بتنوع عرقي وثقافي واسع ، فضلا عن انها مركز العلم في حقبة الخمسينيات من القرن المنصرم ، ثم تقوم بممارسة الطب في احدى محافظات العراق الجنوبية (الديوانية) وهي منطقة ذات طابع ريفي وعشائري ، تختلف بطابعها العرقي والديني عن الموصل وبغداد حيث تتميز باحتشاد الطبقة المزارعة من العراقيين قرب سهل الفرات ، فوجدت (وردية) نفسها في (الديوانية) التي ظهرت لها بالقرعة وتم تعيينها بما:

(مدينة هادئة ومتقشفة ومحافظة وتشبه شخصيتها ، مضت اليها اول ما مضت ، بكثير من التهيب وكأنها تنهض من مهد ميلادها وتسير الى نعشها ، كل ما عاشته قبل الديوانية قشرة بصل ، وكل ما ستعيشه فيها سيمد جذوراً ويرسخ وينمو ويتفرع ويخضوضر ويرعم ويطرح الثمار)¹ .

تحتل (الديوانية) اغلب احداث حياة (وردية) وفيها سيتم زواجها وولادة ابنتها الثلاثة (براق وياسمين وهندة) انها مهوى القلب ومستقط الرأس ، كما يحلو للكاتبة تسميتها ، الا ان الاحساس بضياح الوطن وفقدان الهوية يتضح جلياً في عدد كبير من نصوص الرواية (وردية) تشبه العراق المشتت ابناؤه في اقاصي الارض :

(كأن جزاراً تناول ساطوره وحكم على اشلائها ان تتفرق في كل تلك الاماكن ، رمى الكبد الى الشمال الامريكي ، وطوح بالرئتين صوب الكاريبي وترك الشرايين طافية فوق مياه الخليج ، اما القلب فقد اخذ الجزار سكينه الرفيعة الحادة ، تلك المخصصة للعمليات الدقيقة ، وحز بها القلب رافعاً اياه ، باحتراس، من متكنه بين دجلة والفرات ودحرجه تحت برج ايفل وهو يقهقه بما اقترفت يده)² .

ان التصوير الشعري في لغة الرواية يبلغ اقصاه في هذا النص (وردية) تصف الشتات العائلي لها ولأبنائها الثلاثة ، المشتتون في بقاع الارض، فهي تصف حال ابنتها (د.هندة) التي استقرت في الشمال الامريكي (كندا) وتصفها ب(الكبد) ، ومن ثم تصف حال ابنتها (براق) الذي يعمل في مدن البحر الكاريبي متنقلا من مدينة الى اخرى حسب ظروف العمل ب(الرئتين) ومن ثم تعود لتصف لنا حال ابنتها (ياسمين) التي زوجها بأحد اقاربها على وجه السرعة وتقيم في (دبي) (ترك الشرايين طافية فوق مياه الخليج) ، وبعد شتات ابنتها في بقاع الارض المترامية ، تعود لتصف حالها

¹ (طشاري : 31 .

² (طشاري : 17 .

(القلب) واقامتها المؤقتة في (فرنسا) بصفة لاجئة عراقية (دحرجه تحت برج ايفل)، ان التوصيف اللغوي لهذا الشتات وضياع الترابط الاسري ، هو نتيجة الاحساس بالغربة وفقدان الهوية والانتماء لهذا البلد الجديد (فرنسا) .

ان الاحساس بالمكان يبدأ من اصغر وحدة مكانية ليمتد ويتسع الى المدينة ثم الوطن (فكل فرد تحيط به عدد من القواقع ، اقربها الى جلده ، الذي يمثل الحد الفاصل بينه وبين العالم ، ثم تتوالى القواقع تباعاً ، اقربها الى الجلد هي الثياب ، ثم تليها الحركة ، ثم الغرفة، ثم الشقة ن ثم المبنى ، ثم الحي ، ثم المدينة ، ثم المنطقة ، ثم البلد)¹.

ان هذه التراتبية المكانية والاحساس بها من قبل الشخصية البطلة (وردية) واضحة وجليية على طول الرواية ، فتعدد الاماكن من (الموصل ، بغداد، الديوانية ، كندا ، هاييتي ، دبي ، عمان واخيراً باريس) في حياة الشخصية ، يفسر شتاتها وضياعها المكاني وبحثها عن وطن يأويها في ايامها الاخيرة ، لكنها تريد وطناً بطعم العراق .

رمزية المكان :

ان الرمز هو عنصر ايجائي داخل النص السردي ومن ثم فان حضوره يكون مكثفاً في بعض مواضع الرواية وهو يُعني عن كثير من الثروة السردية التي توجب على البطل الشرح والتفسير ، فاختيار اماكن الحدث للبطلة (وردية) لم يأت صدفة من قبل الكاتبة ، فانتقال البطلة بين شمال العراق (الموصل) ووسطه (بغداد) لتستقر ولفترة طويلة في جنوبه (الديوانية) ، ومقارنة الاحداث منذ الخمسينيات بأحداث اليوم وما آل اليه الوضع في العراق بعد 2003م ، هي عملية ايجائية ، فالبطلة (وردية) ترمز الى العراق بكل اطيافه من شماله الى جنوبه واختيار الكاتبة مهنة الطب لهذه البطلة ، هي دلالة على انسانية ابناء هذا البلد وطبيتهم ، فضلاً عن ذلك فأن رفض البطلة للوطن البديل (المنفى) والرفض المتكرر لطلبها الهجرة ، هو رسالة استشرافية تبعث الامل بالمستقبل وبالعودة ، ورجوع العراق وطناً جاذباً لأبنائه كما كان عهده في السابق .

ومن المعاني الرمزية للمكان هو عمل ابنتها (هندة) في مدينة في الشمال الامريكي ، اغلب سكانها من الهنود الحمر (اوتاوا) في مدينة تدعى (مانيتوبا) وهي منطقة نائية في (كندا) تجد فيها (هندة) اجواءً مشابهاً لأجواء العراق وناسه اللطفاء ، فلا تشعر بالغربة معهم.

¹¹ - (41- A.Meles et E.Rohmer.psy choiogie de le'space .Paris –Casterman ,1972: 41-)

61 نقلًا عن جماليات المكان / مجموعة من الباحثين ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1988 ، مطبعة دار قرطبة : 60 .

(يشعرها كل ذلك الود بالحرع ، ان العاملين في المستشفى يدلونها لكي تبقى معهم ولا تهرب مثل كل الاطباء ، وحتى المرضى الذين حذروها منهم كانوا طبيين معها ، بسطاء يفرطون في الطعام والشراب والمخدرات ويعيشون على المساعدات الحكومية في محميات خاصة ، كأن الدولة تعزلهم وتقدم لهم الرشاوى وتشجعهم على ذلك النمط من الحياة ، تلهيهم بالخمر والحشيش كي تتجنب مشكلاتهم وتصرفهم عن المطالبة بحقوق اخرى)¹.

فالمهزلة الحمر جماعات جارت عليهم الدول وشتتهم في ارجاء امريكا بعد ان اغتصبت حقهم وسرقت ارضهم ، فوجه الشبه كبير بين حاضر هذا الشعب وحاضر العراق بعد تشتته وتفرق ابناءؤه ، وهنا يمكن عدّ ذلك معادلا موضوعيا لحال العراق ، فأحيانا تتشابه عدد من الاماكن في ظروفها العامة ، فالشعوب لديها قيم مشتركة ومن ثم (ترتبط كثير من القيم المجردة بإحداثيات مكانية محسوسة)².

الهوية والزمن:

ان قضية هوية الفرد وانتمائه هي قضية مصيرية وفاعلة في بنية الزمن للرواية ، فلقد عاصرت (وردية) بطله الرواية ثلاثة اجيال متعاقبة من الزمن الفيزيائي للحكاية وهي :

- جيل الدكتوراة وردية في الخمسينيات
- جيل ابناءؤها الثلاثة (براق ، ياسمين ، هندة)
- جيل الحفيد اسكندر

وللزمن تأثير بالغ في حياة البطله (وردية) لأنها بلغت الثمانين من العمر ، فأتضح تقادم الزمن عليها لان (اثر مرور الزمن ، وثقله ، وفعله ، ونشاطه في الانسان حين يهرم ، وفي البناء حين يُبلى ، وفي الحديد حين يصدأ ، وفي الارض حين تتجمد ، وفي الشجر حين تتساقط اوراقه... وفيما لا يحصى من الاحوال والاطوار والهيئات وفي تحول من حال الى حال ، ومن طور الى طور ومن مظهر الى مظهر آخر)³.

¹ (طشاري : 222

² (جماليات المكان : 65 .

³ (في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، د. عبد الملك مرتاض ، كانون الاول ، 1998 : سلسلة عالم المعرفة ، المجلس العربي للثقافة والفنون والآداب - الكويت ع 240 - مطابع الرسالة - الكويت .

ان تحول الزمن ناتج عن تحول حالة الشخصية البطة (وردية) فانتقالها من العراق الى فرنسا ، هو انتقال من الوطن والماضي والذكريات الى حاضر لا تعرف عنه شيء:

(خلعت الكفوف البلاستيكية المعقمة ، وازاحت قناني السبيرتو ، واكياس القطن ، وتركت وراءها سرير الفحص ، الذي تمدد عليه العواقر والولادات . اغلقت بيتها وجاءت الى هذا البلد الذي لا تعرف اهله ولا يعرفونها ، من يعرف هنا الدكتورة وردية ؟ ان من يراها تدفع عجلة كرسيتها المتحرك لا يصدق ان هاتين الكفتين الصغيرتين اللتين ترسم عليها خارطة من الاوردة الزرق ، هما اليدان السحريتان ذاتهما بأناملهما المطواع المدربة التي كانت تجوب المغارات السرية للنساء)¹.

ان الحنين الى الماضي والى مكانتها في المجتمع العراقي كطبيبة متمرسة ومعروفة لسنوات طوال ، يولد داخل الشخصية غربة روحية كبيرة وفجوة بينها وبين المجتمع الجديد ، ويثقل عليها هاجس الزمن (زمن الانتظار) للقاء الاحبة ، فراها جالسة منتظرة لأي وسيلة تواصل مع عائلتها لإحساسها الكبير بالغربة والضياع في فرنسا :

(انها السابعة في باريس ، ونومها قليل وعطشها للشاي لا يتركها ترقد في الفراش ، ستعدّ نفسها كوباً كبيراً ثم تجلس بقرب الهاتف ، فقد لا تسمع الرنين اذا ابتعدت عنه ، آه من هاتين الاذنين الخوانيتين ، مازال الوقت مبكراً لكن ياسمين قد تتصل بها من دبي لتطمئن عليها...)².

فالجسد موجود في فرنسا ، لكن العقل يفكر بالأهل والاحبة ، وهنا تتحرك الشخصية بتأثير الزمن النفسي وليس الفيزيائي ، ويتضح ذلك من خلال تفكيرها العميق بالماضي والحاضر والغربة في وطنها الجديد (فالزمن إذن مظهر نفسي لا مادي ، او مجرد لا محسوس ويتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر ، لا من خلال مظهر في حد ذاته ، فهو وعي خفي ، لكنه متسلط ، ومجرد ، لكنه يتمظهر في الاشياء المجسدة)³.

فالحاضر هو واحد عند الشخصيات كافة ، الا ان الاحساس به يتمظهر لدى شخصية اكثر من غيرها ، ونجد (وردية) تنظر للزمن نظرة اخرى ، فهي لا تُعنى بالزمن الفيزيائي بقدر اعتنائها بوجود الاحبة فيه :

(الساعة هي الان السابعة صباحا في باريس)

¹ (طشاري : 18-19

² (طشاري : 19 .

³ (نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض : 201 .

التاسعة في بغداد

العاشرة في دبي

ما زالوا في منتصف الليلة الماضية في مانيتوبا

وهي الواحدة بعد منتصف الليل في هايتي¹.

فالزمن يتمظهر لدى (وردية) بحسب حضور الوطن في (بغداد) وحضور العائلة (ياسمين) في دبي ، وحضور (هندة) في مانيتوبا ، وحضور ولدها (براق) في هايتي .

فالزمن يتسم بالفراغ اذا لم يُملئ بالحدث والشخصيات ، وهكذا هو زمن (وردية) فلقد عاشت زمنها (الخمسينيات) وهي الان ضيفة في زمن اولادها واحفادها ، تبحث عن ذكريات لزمن مضى واندرثر .

الاطوان البديلة :

ان المنفى او الهجرة نحو الآخر (الغرب) له حضور مكثف وعالي في الرواية ، فالغربة تنقل بوطأتها على (وردية) ولا سيما انها لا تملك عملاً تقضي به وقتها او تنفع الناس به ، لذا نرى سيطرة فكرة الموت على ذهنها ، وهل ستدفن في الوطن البديل او في الوطن الأم . انا اعتقد انه هاجس كل مغترب عن وطنه ، فالبطلة هنا تحكي قصة اللاجئين العراقيين ومعاناتهم ، تحكي قصة الارواح المعذبة التي اقتلعت من الجذور لتحاول الانبات في ارض جديدة بعيدة عن هاجس الموت والفقر ، حيث ان اغلب طالبي اللجوء اصبحوا من العراقيين والعرب الذين يحاولون الاحتماء بالغرب هرباً من نيران بلدانهم ، فالوطن البديل (فرنسا) لم تختاره (وردية) فلا حبيب لها ولا عائلة فيه ، لذا نراها تصرح :

(ان ما اخذها الى فرنسا هو اليأس والكثير من القرف ، القرف ذاته الذي دفع ياسمين الى القبول بزواج جاءها بالمراسلة ، خطبها من شقيقتها بالتلفون وبعث لها الخاتم مع ارامكس وتسلمها في مطار دبي مثل طرد بالبريد المضمون ، هربوها من البلد بعد رسائل التهديد التي كانت تُرمى من فوق السياج ، يجدونها في الصباح مثل طائر ميت ملقى على الثيل الاخضر المعتنى به)².

¹ (طشاري : 17 .

² (طشاري : 129.

يتضح لنا من خلال النص السابق ، فداحة الحياة في الوطن ، لذا كانت الاوطان البديلة (دبي ، فرنسا ، كندا، هايتي) ملاذاً امناً لها ، فالأيس من امكانية العيش تدفع بهم نحو الآخر بلا امل . وهنا تؤسس الكاتبة لخاتمتها المفتوحة التي تركتها لتوقع القارئ حيث :

(بلدٌ فذٌ ضربته لعنة الفرقة فمسخته وحشاً ، تُصلي له فلا تستجيب السماء ، سماؤها الطيبة الحنون التي لم ترد لها يوماً طلباً

ام يشبعون من الدم)¹.

ان التوصيف السابق للعراق ، تبرز خوف مواطنيه من لعنة اصابته ، فأضحى جحيماً على ابنائه ، ثم تختتم روايتها بتساؤل مفتوح للقارئ عن اللحظة التي يقف فيها نريف الدم العراقي ، لكي ترى بصيص امل بالعودة .

الوطن الافتراضي :

ان البحث عن هوية وانتماء لمكان يضم الاحبة جميعاً هو هاجس الراوية ، لذا فقد تمخض البناء السردي عن فكرة مبتكرة طرحتها البطلة على لسان حفيدها (اسكندر) الذي لاحظ عذاب عمته في الغربة (فرنسا) ولان الجيل الحالي هو جيل الالكترونيات ، ولا سيما مع تطور وسائل التواصل الاجتماعي ، فخطرت بباله (اسكندر) فكرة انشاء مقبرة الكترونية للعائلة (موقع الكتروني) ، تضم في صفحاتها قبور افراد العائلة ، واختيار المكان الذي يضم رفاتهم واختيار من يدفون بقربه من الاحبة :

(شوفي عمه ، مقبرة الكترونية يمكنك ان تنامي فيها بجوار من تحبين ، رأيت شواهد رخامية تتوزع بين اشجار خضراء ، صلباناً من رخام وخشب وذهب ، ازهاراً نضيرة ، وكأنها سقيت للتو ، وضعت السماعتين فسمعت موسيقى ناعمة تتناغم مع حركة فأرة الكمبيوتر التي يقبض عليها اسكندر ، ويجول بالسهم يميناً او يساراً ، عرض عليها قبوراً تفنن في تشييدها ، واقام عليها شواهد ملونة مثل اقواس قزح)².

ان وصف المكان (المقبرة) بشكل دقيق من قبل الراوي كلف العلم جعل الشخصية تنتقل من الواقع الى الحلم المفقود (الوطن) الذي سُلب منها وطردها في حلقة ايامه ، فيبدأ (اسكندر) بتعداد الاحبة والاهل :

¹ (طشاري : 251 .

² (طشاري :

(هذا قبر جدو سليمان ، شقيقها الكبير المدفون في بغداد بجوار قبر زوجته وقبور جولي وكماله وزوجها شمعون ، قبر ام جرجيس وحفيدتها فائزة التي خطفها السرطان ، قبر قرييهم اولمي الذي كان طيارا في الجيش ، تنفرج وتضطرب وترتجف يداها مع تواتر الالحن والالوان ، يستدير الولد و يواجهها ، ويتطلع في عينيها ، ويطلب وعدا بالا تبكي ، يوجه سهم الفأرة الى قلب الصورة ، يرفع السماعتين عن رأسها ويقول بحرج :

- هنا وضعت قبر العم جرجيس وتركت له مكانا بجواره ... بعد مئة سنة ان شاء الله¹ .

ان العراقيين في الغربة ، تضاءلت احلامهم بالعودة ولم الشمل ، حتى وصلت الى الحد الذي يتمنون فيه ان تجمعهم مقبرة واحدة ولو كانت افتراضية مع من يحبون ، لذا نجد الحفيد يتوقف عند قبر زوج (وردية) ليضمه الى المقبرة متحملا ردة فعل (وردية) على الحدث :

(نقر على زاوية الشاشة فتضاعف حجم الصورة وتمكنت ان تشاهد ما هو منقوش على رخامة القبر " من آمن بي وان مات فسيحيا" ، وتحت العبارة الانجيلية قرأت " الدكتور جرجس منصور 1928-1997 .

يريد منها الا تبكي ؟ غاصت عيناها وخفق قلبها ذلك الخفقان السريع الذي تعرضه وتتغاضى عن خطورته² .

هكذا يجتمع الاحبة في الغربة بعد ان عصفت بهم رياح التهجير والقتل في بلد متسامح كالعراق، ضل يحن له ابناؤه في كل دقيقة ، انه الحب ، حب الوطن ، حب الهوية بلا مقابل .

الخاتمة:

• تميز النتاج الأدبي الروائي بطرح اشكاليات المجتمع العراقي ومحاولة إيجاد صيغ حلول لمعالجة هذه الشيمه من خلال العمل الأدبي

• نتج عن هذه الدراسة الوقوف على انماط المكان وتوظيفه بوصفه وحدة مستقلة في السرد الروائي

• حضور الزمن حضورا مكثفاً ولاسيما مع كثرة الاسترجاعات وتداخل الأزمنة من الماضي والحاضر في ذهن الشخصية البطلة

¹ طشاري : 109 .

² طشاري : 109- 110 .

- تنتمي الرواية لنمط السيرة الذاتية الواقعية لتصوير مرحلة من مراحل تاريخ العراق الحديث
- تميز الأدب النسوي بينائه الفني و تناوله موضوعات جريئة بشكل لافت للنظر قد يكون السبب وراء فوز عدد من روايات الكاتبة بجوائز عالمية
- معالجة القضايا ذات الخصوصية النسوية بشكلٍ بارعٍ من خلال استحضار نماذج جاذبةٍ من الشخصيات

قائمة المصادر :

- 1- بنية النص السردى من منظور النقد الادبي ، د. حميد حميداني ، المركز الثقافي الغربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط3 ، 2000 .
- 2- جماليات المكان / مجموعة من الباحثين ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1988 ، مطبعة دار قرطبة
- 3- طشاري ، انعام كجه جي ، دار الجديد ، لبنان ، ط2 2014
- 4- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، د. عبد الملك مرتاض ، كانون الاول ، 1998 : سلسلة عالم المعرفة ، المجلس العربي للثقافة والفنون والآداب - الكويت ع 240 - مطابع الرسالة - الكويت
- 5- A.Meles et E.Rohmer.psy choiogie de le'space .Paris -Casterman 1972 ,
- 6- J. Kristeva : Le texte du roman Mouton -1976